بسم الله الرحمن الرحيم

فقه السيرة

د. عبد العظيم بدوي

الدرس الأول

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، وعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.------اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد، فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي محمد -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

ثم مرحبًا بكم أيها الحبة الكرام في هذه اللقاءات التي سنتدارس فيها -إن شاء الله تعالى-سيرة النبي -صلى الله عليه وسلم- ونسأل الله -سبحانه وتعالى- أن ينفعنا بهذه الدراسة، وأن يرزقنا التأسي والاقتداء والاهتداء بنبينا محمد -صلى الله عليه وسلم.

فإن هذا -بارك الله فيكم- هو المقصود من دراسة السيرة، المقصود من دراسة السيرة هو حصول التاسي بصاحب هذه السيرة الزكية العطرة -صلى الله عليه وسلم- كما أمر الله -عز وجل- في قوله {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً} [الأحزاب: 21].

إن شاء الله تعالى سنتحدث في هذا الدرس الأول عن نسب الرسول -صلى الله عليه وسلم- وميلاده، ورضاعه، وكفلائه بعد وفاة أبيه على نبينا -صلى الله عليه وسلم.

وقد يتسع الوقت فتزيد بعض العناصر، وقد يضيق الوقت فتقل بعض العناصر، لكن هذا ما نريد أن نتحدث عنه -إن شاء الله تعالى- في هذا الدرس الأول من هذه الدروس المباركة -إن شاء الله- في سيرة النبي -عليه الصلاة والسلام.

وقبل أن نبدأ في ذكر العناصر التي أشرنا إليها في هذا الدرس أرى أن نذكر شيئًا من فوائد دراسة السيرة بعد أن لمَّحتُ إلى المقصود الأعظم منها، فأقول وبالله تعالى التوفيق:--------إن خير ما يتدارسه المسلمون ولا سيما الناشئون والمتعلمون، ويُغنَى به الباحثون والكاتبون دراسة السيرة المحمدية، إذ هي خير معلم ومثقِّفٍ ومُهذِّب ومؤدِّب، وهي أصل مدرسة تخرج فيها الرعيل الأول من المسلمين والمسلمات الذين قلَّما تجود الدنيا بأمثالهم.---------ففي السيرة ما ينشده المسلم وطالب الكمال من دين، ودنيا، وإيمان، واعتقاد، وعلم، وعمل، وآداب وأخلاق، وكياسة، وإمامة، وقيادة، وعدل، ورحمة، وبطولة، وكفاح، وجهاد، واستشهاد في سبيل العقيدة والشريعة، والمُثُل الإنسانية الرفيعة، والقيم الخلقية الفاضلة.

لقد كانت السيرة النبوية مدرسة تخرج فيها أمثل النماذج البشرية وهم الصحابة -رضوان الله عليهم اجمعين-------- فكان منهم الخليفة الراشد، والقائد المحنك، والبطل المغوار، والسياسي الداهية، والعبقري الملهم، والعالم العامل، والفيقه البارع، والعاقل الحازم، والحكيم الذي تتفجر من قلبه ينابع العلم والحكمة، والتاجر الذي يجول أو يجول رمال الصحراء ذهبًا، والزارع والصانع اللذان يريان في العمل عبادة، والكادح الذي يرى في الاحتطاب -أن يحمل الحطب من الصحراء ويبيعه- عملًا شريفًا يترفع به عن سؤال الناس، والغني الشاكر الذي يرى نفسه مستخلفًا في هذا المال الذي بين يديه، ينفقه في الخير والمصلحة العامة، والفقير الصابر الذي يحسبه من لا يعلم حاله غنيًا من التعفف.

وكل ذلك كان من ثمرات الإيمان بالله وبرسول الله -صلى الله عليه وسلم.

وبهذا كانوا الأمة الوسط، وكانوا خير أمة أخرجت للناس.

لقد كان السلف الصالح من هذه الأمة الإسلامية يدركون ما لسيرة خاتم الأنبياء، وسير الصحابة النبلاء من آثار حسنة في تربية النشء، وتنشئة جيل صالح لحمل رسالة الإسلام والتضحية في سبيلها بالنفس والمال، فمن ثمَّ كانوا يتدارسون السيرة ويحفظونها ويلقنونها للغلمان كما يلقنونهم السور من القرآن

، كما رُوِيَ عن زين العابدين علي بن الحسين -رضي الله عنهما-

قال: "كنا نُعلَّم مغازيَ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- كما نُعلَّم السورة من القرآن".

فما اجدر المسلمين في حاضرهم رجالًا ونساءً، وشبابًا وشيبًا أن يتعلموا السيرة ويعلموها غيرهم، ويتخذوا منها نبراسًا يسيرون على ضوئه في تربية الأبناء والبنات، وتنشئة جيل يؤمن بالله ورسوله، ويؤمن بالإسلام وصلاحيته لكل زمان ومكان، والتضحية بكل شيء في سبيل سيادته وانتشاره، لا يثنيهم عن هذه الغاية الشريفة بلاء وإيذاء، ولا إطماع وإغراء.----ولسنا نريد من دراسة السيرة النبوية، سيرة النبي -صلى الله عليه وسلم- وسِيَرِ الرعيل الأول وهم الصحابة الكرام

؛ لسنا نريد من هذه الداسة أن تكون مادة علمية يجوز بها طلاب العلم في المعاهد والمدارس والجامعات الامتحان، أو الحصول على الإجازات العلمية، أو أن تكون حصيلة علمية نتفيهق بها ونتشدق في المحافل والنوادي وقاعات البحث والدرس وفي المساجد والجوامع؛ كي نحظى بالذكر والثناء، وننزع من السامع مظاهر الرضا والإعجاب، ليس هذا هو المقصود من دراسة السيرة.

ولكنا نريد من هذه الدارسة أن تكون السيرة مدرسة نتخرج فيها كما تخرج السادة الأولون، وان نكون مُثُلًا صادقة لصاحب الرسالة -صلى الله عليه وسلم- وصحابته الكرام -رضوان الله عليهم- في إيمانه وعقيدتهم، وفي علمهم وعملهم، وأخلاقهم وسلوكهم، وسياستهم وقيادتهم حتى يعتز بنا الإسلام كما اعتز بالسابقين الأولين من الأنصار والمهاجرين.

ونكون في حاضرنا كما كانوا هم خير أمة أخرجت للناس بشهادة رب الناس، ملك الناس، إله الناس -سبحانه وتعالى- حيث خاطبهم بقوله {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ} [آل عمران: 110].

فهذا هو المقصود أيها الأحبة من دراسة السيرة، أن تعلم وأن نعمل، ونتأدب، وتخلق، وأن نتأسى برسول الله -صلى الله عليه وسلم- في الصغيرة والكبيرة، في عبادته لربه، ومعاملته للناس، ومعاملته لأهله في بيته، ولأطفاله وأحفاده، وللصغير والكبير من عموم الناس أجمعين.

وبعد أن عرفنا هذه الفوائد من دراستنا لسيرة النبي -صلى الله عليه وسلم- نبدأ بذكر نسبه الشريف -صلى الله عليه وسلم- فنقول:

ذكر الإمام البخاري -رحمه الله- نسب النبي -صلى الله عليه وسلم- فقال:

"هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف" وعدَّ من آباء النبي -صلى الله عليه وسلم- نحوَ العشرين أبًا، وانتهى إلى عدنان.---------- وهذا النسب الزكي متفق عليه بين علماء الأنساب **إلى "عدنان".**

قال الحافظ أبو الخطاب بن دحية: "أجمع العلماء على أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إنما انتسب إلى عدنان ولم يجاوزه"، يعني لم يتعداه إلى غيره".

وأما من بعد عدنا من آباء النبي -صلى الله عليه وسلم- مختلف فيهم، وإن كان النسابون اتفقوا على أن عدنان ينتهي نسبه إلى إسماعيل بن إبراهيم -عليهما السلام- فإسماعيل هو جد النبي الأعلى، وقد انتقلت إليه منه بعض الصفات الجسمانية.

ففي الحديث الصحيح أن النبي -صلى الله عليه وسلم- لما ذكر إبراهيم -عليه السلام-

قال: «وإنه لأشبه الناس بصاحبكم»، «وإنه» يعني إبراهيم «لأشبه الناس بصاحبكم».

فالنبي محمد -عليه الصلاة والسلام- أبوه الأعلى إبراهيم الخليل -عليه السلام.

ولم يزل -صلى الله عليه وسلم- ينتقل من أصلاب الآباء الطيبين إلى أرحام الأمهات الطاهرات، ولم يمس نسبه من سفاح الجاهلية شيء، بل كان بنكاح صحيح على حسب ما تواضع عليه العرب الشرفاءحتى خرج من بين أبويه الكريمين.

وفي صحيح مسلم أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال:

«إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى من كنانة قريشًا، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم»،

ورواه الترمذي في سننه بزيادة في أوله، قال: «**إن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل**».

والمراد بالاصطفاء: تخيُّر الفروع الزكية من الأصول الكريمة تخيرًا مبناه الخلاق الكريمة، والفضائل الإنسانية السامية، والطباع الفطرية السليمة، وينضم إلى ذلك بالنسبة إلى إسماعيل والنبي -عليهما الصلاة والسلام- اصطفاء النبوة والرسالة.

وإذا كان الله -سبحانه تعالى- قد جرت سنته ألا يبعث نبيًّا إلا في وسط من قومه شرفًا ونسبًا، فقد كان النبي -عليه الصلاة والسلام- في الذروة من هذا كله، فما من آبائه إلا كان مليًّا بالفضائل والمكارم، وما من ام من امهاته إلا وهي أفضل نساء قومها نسبًا وموضعًا، وتزل الفضائل والكمالات البشرية تنحدر من الأصول إلى الفروع حتى تجمعت كلها في سلالة ولد آدم ومصاصة بني إبراهيم وإسماعيل محمدٍ بن عبد الله الأمين -صلى الله عليه وسلم.-----وليس من شك في أن النسب الكريم إذا زانه الحسب العريق؛ كان ذلك من أسباب الكمال ووراثة الصفات الخَلقية والخُلُقية، والخصائص النفسية والعقلية أمر مقرر معلوم،

وقد دلَّ على هذه الوراثة قول النبي -صلى الله عليه وسلم- للرجل الذي جاء يشكو أن امرأته وضعت غلامًا أسود، والرجل -الأب- ليس أسود، فكيف يجئ الولد أسود من أبٍ أبيض؟!

فقال النبي -عليه الصلاة والسلام- للرجل الذي كاد يشك في امراته: «هل لك من إبل؟ قال: نعم. قال: وما ألوانها؟ قال: حمر. قال: هل فيها من أورق -الأورق ما لونه مختلط- قال: نعم. قال: فأنى ذلك؟» إذا كانت إبلك حمر وعندك جمل لونه مخلط أورق، فكيف جاء هذا؟ فقال الرجل: «لعله نزعه عرق. قال -صلى الله عليه وسلم: فلعل ابنك هذا نزعه عرق».

وقد ورث -صلى الله عليه وسلم- من آبائه كل المكارم وكل الفضائل في الجسم والعقل والدين والخلق والنسب ولحسب -عليه الصلاة والسلام.-

----------فهذا ما أردنا تعريفكم به من نسب النبي -صلى الله عليه وسلم.

{بسم الله الرحمن الرحيم.}

بعد أن عرفنا النسب الشريف، نريد نستوضح

: هل النسب ينفع صاحبه إن لم يكن معه إيمان أو عمل صالح؟}.

نعم نقول ، **النسب له مكانته عند العرب قبل الإسلام، وقد كان النسب والحسب هو المقدم على كل شيء، فلما جاء الإسلام أراد أن ينزع منهم الفخر بالحسب والنسب، وأن يبين لهم أن منزلة الناس عند الله -سبحانه وتعالى- إنما هي بالإيمان والدين.**

قال الله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ} [الحجرات: 13]، وبينما النبي -عليه الصلاة والسلام- جالسًا يومًا وعنده رجل مرَّ رجل، فقال -عليه الصلاة والسلام- لجليسه: «**ماذا تقول في هذا؟ فقال: هذا رجل من أغنياء الناس، هذا حري إن خطب أن يُنكح، وإن شفع أن يُشفَّع، وإن قال أن يُسمع لقوله. فسكت -عليه الصلاة والسلام- ثم مرَّ رجل آخر فقال -عليه الصلاة والسلام- لجليسه: ماذا تقول في هذا؟**

فقال: هذا رجل من فقراء المسلمين، هذا حري إن خطب ألا يُنكَح، وإن شفع ألا يُشفَّع، وإن قال ألا يُسمع لقوله. فقال -صلى الله عليه وسلم مصححًا للمفاهيم- هذا -أي الفقير- خير من ملء الأرض مثل هذا».

فلما نزع النبي -صلى الله عليه وسلم- من قلوب أصحابه الفخر بالحسب والنسب وتقدير الناس وتقييمهم بهذا الميزان، ورسخ الميزان صحيح {إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ}، بعد ذلك بين أن الحسب والنسب لا شك أن له أثر في حياة الناس، وله قيمة في حياة النس إذا صاحبه الإيمان والتقوى.

ولذلك قال -عليه الصلاة والسلام: «تنكح المرأة لأربع: لمالها، ولحسبها، ولجمالها، ولدينها»، فالحسب والنسب مع الدين لا شك أن له قيمة في حياة الإنسان وأثر في سلوكياته.-----أما إذا خلا الحسب والنسب من الدين ومكارم الأخلاق والعمل الصالح فلا قيمة له.

ولذلك جاء في الحديث: «**من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه**»

، وفي القرآن الكريم قال الله تعالى------{فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ} [المؤمنون: 101].

ننتقل بعد ذلك إلى العنصر الثاني وهو:

ميلاد النبي -صلى الله عليه وسلم- فنقول وبالله تعالى التوفيق:

من المعلوم المشهور عند الصغير والكبير أن النبي -صلى الله عليه وسلم- ولد عام الفيل، فهذا شيء مشهور عند الصغار والكبار، أن النبي -عليه الصلاة والسلام- ولد عام الفيل، فقبل أن نتحدث عن ميلاده -عليه الصلاة والسلام-

ينبغي أن نعرف ما هو عام الفيل؟ وما هو هذا الفيل؟ وما قصته؟ وما الواقعة والحادثة التي نسب إليها هذا العام -عام الفيل؟

فنقول وبالله تعالى التوفيق:

قصة الفيل قصة مشهورة أرَّخ بها العرب لدلالتها على مزيد عناية الله تعالى ببيته الحرام، ذلك أن أبرهة الحبشي لما غلب على بلاد اليمن، ورأى الناس يقصدون زرافات ووحدانًا، ورجالًا وركبانًا الكعبةَ البيت الحرام، قال أبرهة: إلامَ يقصدون؟ أين يذهب هؤلاء؟ الناس كل موسم يذهبون، كل شهر مسافرون، أين يذهبون؟------قالوا: إلى الكعبة بمكة يحجون.

قال: مما هو؟

قالوا: بيت من الحجارة.

قال: وما كسوته؟

قالوا: ما يأتي هاهنا من الوصائل.

الوصائل: ثياب مخططة يمانية كانت تُكسى بها الكعبة قديمًا.-----**قال**: **لأبنينَّ بيتًا خيرًا من هذا البيت**، فأراد أبرهة أن يبني بيتًا يصرف به الناس عن قصد البيت الحرام للحج والعمرة.قال: لأبنينَّ بيتًا خيرًا منه، فبنى لهم كنسية بصنعاء، وتفنن في بنائها وتزيينها، **وسمى هذه الكنيسة "القليس"**، وقصد بها صرف العرب عن التوجه إلى الكعبة.

فعمد أعرابي من العرب أخذته الغيرة على الكعبة بيت الله الحرام، فذهب إلى هذه الكنيسة فقضى حاجته في داخلها، تغوط فيها، فلما علم أبرهة بهذا الفعل استشاط غضبًا، وعزم على هدم الكعبة، وسار في جيش جرار عظيم لا قِبَل لأهل مكة ولا للعرب كلهم به، أراد أن يهدم الكعبة.

-فتعرض له في الطريق بعض قبائل العرب، ولكنه تغلب عليهم، غلبهم، فقتل من قتل منهم، وأسر من أسر.

وعند مشارف مكة وجدوا إبلًا لعبد المطلب بن هاشم، فاستاقوها وأخذوها، فذهب عبد المطلب إلى أبرهة، وكان عبد المطلب وسمًا جميلًا تعلوه المهابة والوقار، فأبرهة عظَّم شأنه وقدَّره، وأنزله منزلته وأكرمه.-----خير يا عبد المطلب، لماذا جئتَ؟

قال: أنا جئت أقول لك: الجمال التي أخذتها هذه جمالنا، أنت لماذا أخذتها؟

فقال أبرهة لعبد المطلب: أتكلمني في الإبل ولا تكلمني في بيت فيه عزك وشرفك وشرف آبائك؟!

أنا جئت أهدم الكعبة التي تفخر بهاوتعتز بها، تترك هذا الأمر الذي جئتُ له، وتقول: هات جمالنا؟!

فقال عبد المطلب هذه الكلمة التي طارت في الآفاق وسارت مسار الأمثال:

"أنا رب الإبل، وللبيت رب يحميه".--أنا رب الإبل، أنا جئت أكلمك فيما أملكه، أما البيت فله رب يحميه.

ثم رجع عبد المطلب فأخذ بحلقة باب الكعبة ومعه نفر من قريش، وأخذوا يدعون الله تعالى وستنصرونه أن يحمي بيته وأن يهزم أبرهة وجنده.
وكان مما قال عبد المطلب وهو متعلق بأستار الكعبة:

*لا هُمّ إنَّ المرءَ يمنَعُ رَحْلَه ** فامْنَعْ رحالك*
*انصر على آل الصليب ** وعابديهم يوم آلك*
*لا يغلبَنَّ صليبُهُمْ ** وَمِحَالُهُمْ أَبَداً مِحالَكْ*
*إنْ كنتَ تاركَهُمْ وقِبْلَتَنا ** فأمْرٌ ما بَدَا لَكْ*

يا رب لسنا قادرين أن ندافع عن البيت، والبيت بيتك، إن تنصره فهو بيتك، وإن كنت ستخلي بين أبرهة وبين البيت فالأمر يا رب لك.---------
----ثم أرسل حلقة البيت وانطلق هو ومن معه من قريش إلى الجبال، هربوا في الجبال، ينظرون ما أبرهة فاعلٌ بالبيت، وكان في جيش أبرهة فيل عظيم، ولهذا سميت ماذا؟ قصة الفيل، حادثة الفيل.

فصار كلما وجهوه إلى الطريق المؤدي إلى مكة أبى وبرك، كلما وجهوا الفيل حتى يهدم الكعبة يبرك ولا يتحرك،

فإذا وجهوه إلى غير طريق مكة مشى وانطلق، ومع هذه الآية العظيمة التي رآها ابرهة أصر أبرهة وجيشه على هدم الكعبة.

فماكان من الله -عز وجل- **إلا أن أرسل عليهم طيرًا أبابيل، في مناقيرها وأرجلها حجارة صغار،**

فصارت ترميهم بهذه الحجارة، ولكنها لم تصيبهم كلهم، فكان من صادفه حجر تمزق جسمه ومات، وخرجوا هاربين يتساقطون بكلطريق ويهلكون بكل مهلك، نكَّل الله بأبرهة وجيشه شر تنكيل.

وقد ذكر الله -سبحانه وتعالى- هذه الحادثة في القرآن الكريم وأفرد لها سورة من قصار السور اسمها سوة ماذا؟ سورة الفيل.

بسم الله الرحمن الرحيم

{أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ * أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ * وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ * تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ * فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ} [سورة الفيل].

فهذه سورة في القرآن تضمنت القصة وما أصاب هذا الجيش فيها، سورة الفيل.

وقد أشار النبي -عليه الصلاة والسلام- إلى هذه الحادثة -حادثة الفيل- لما توجه سنة 6 من الهجرة إلى مكة للعمرة،

فصدته قريش ومنعته من دخول مكة، فكانت الناقة التيي يركبها -عليه الصلاة والسلام- بركت، كلما وجه اليها امتنعت

فقالوا: **خلأت القصواء -اسم الناقة- قال**: «ما خلأت، ولكن حبسها حابس الفيل»، ولذلك اجاب النبي -صلى الله عليه وسلم- قريشًا إلى الصلح، على الرغم من أن الصلح كان فيه شروط الصحابة لم يرضوا عنها، لكن النبي -عليه الصلاة والسلام- راى في بروك الناقة وعدم دخولها مكة آية تقول لها أن عدم الدخول أفضل من الدخول.

هذه هي الحادثة التي أرَّخ بها العرب، فيسمونها عام الفيل

وفي ذلك العام ولد النبي -عليه الصلاة والسلام.

هذه القصة أو هذه الحادثة فيها دوس، دروس وعبر كثيرة جدًا، ما هي الدروس التي نستفيدها من حادثة الفيل؟

1---**أولًا: بيان شرف الكعبة** {إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ} [آل عمران: 96]. وكيف أن مشركي العرب كانت تعظم الكعبة وتقدسها، ولا يقدمون عليها شيء، وتعود هذه المنزلة للكعبة عند العرب إلى بقايا من ديانة إبراهيم وإسماعيل عليهما الصلاة والسلام.

2---**كذلك من الدروس: التضحية في سبيل المقدسات، والحفاظ عليها**، فقد خرج كما أشرت بعض ملوك العرب إلى أبرهة ليصدوه، ولكن -كما قلت- غلب من غلب منهم، وأسر من أسر.----فالدفاع عن المقدسات غريزة في النفس، والتضحية عنها فطرة في الإنسان.

3---**كذلك في قول عبد المطلب: "سنخلي بينه وبين البيت، فإن خلى الله بينه وبينه فوالله ما لنا بهم قوة"، هذا تقرير دقيق لحقيقة المعركة بين الله وأعدائه،**

فمهما كانت قوة العدو وحشوده فإنها لا تستطيع الوقوف لحظة واحدة أمام قدرة الله -سبحانه وتعالى- وبطشه ونقمته، هو سبحانه واهب الحياة وسالبها في أي وقت يشاء، هو المحيي وهو المميت.

4---كذلك رأينا تعظيم العرب لبيت الله الحرام الذي تكفل بحفظه وحمايته من عبث المفسدين وكيد الكائدين.

قال العلماء:كانت حادثة الفيل من شواهد النبوة، دلالة ن دلالتها، فإنه الله -سبحانه وتعالى- حفظ البيت الحرام من أبرهة أن يهدمه لما اقتربت بعثة النبي -صلى الله عليه وسلم- الذي سينر التوحيد في مكة، وسيرد العرب إلى ما كانوا عليه من دين أبيهم إبراهيم -عليه السلام.

{قد عرفنا أن الله تعالى حفظ البيت الحرام من أبرهة الحبشي، وهناك حديث يقول أن الذي سيخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة، فلماذا لن يحفظ الله البيت من هذا الرجل كما حفظه من أبرهة؟}.

الحديث «يخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة» السويقتان: تثنية ساق، ساق وساق سويقتين.

يقول -عليه الصلاة والسلام: «يخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة»

، يعني رجل نحيف جدًا، وساقتيه رفيعة جدًا، حبشي أيضًا، وأبرهة كان حبشي، هذا الرجل يتكن من هدم الكعبة آخر الزمان وينقضها حجرًا حجرًا.

سؤال-------. أبرهة الحبشي لما قصد هدم الكعبة، الله أهلكه وجنده، وحفظ الكعبة، طيب كيف يُمَكِّن الله – عز وجل– هذا الحبشي الآخر في آخر الزمان من هدم الكعبة؟ لماذا لا يحفظها كما حفظها من أبرهة؟

الجواب: أن الله -سبحانه وتعالى- حفظ الكعبة من أبرهة وجيشه في هذا الزمان لما كان يُنتظر من بعثة النبي -عليه الصلاة والسلام- الذي قال الله فيه هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ} [التوبة: 33]، فحظ الله البيت في ذلك الزمان من أبرهة لما أراد بالناس من الخير والرحمة، كما قال في حق النبي -عليه الصلاة والسلام-

{وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ} [الأنبياء: 107].

أما ذلك الحبشي الآخر ذو السويقتين الذي في آخر الزمان سيهدم الكعبة،

فهدم الكعبة علامة من علامات الساعة الكبرى، وللساعة علامات كبرى يقول العلماء: كالعقد المنظوم.

ساعة أن تظهر العلامة الأولى تجد العلامة الثانية والخامسة والسابعة والعاشرة ظهرت، ثم ينفخ في الصور وتنتهي الدنيا.

ففي آخر الزمان لما يقل أهل الخير ويقل أهل التوحيد ويبقى في الأرض شرارها كما قال -عليه الصلاة والسلام: «لا تقوم الساعة على أحد يقول: الله الله، أو يقول: لا إله إلا الله»، فلما لم يبقَ في الأرض من أهل التوحيد أحد، ولم يبقَ فيها إلا شرارها فلم يعد لبقاء الكعبة فائدة، فيسلط الله هذا الحبشي فيهدمها ليزداد إثمًا بتلك الجريمة التي يرتكبها، ويُعذَّب بذلك في النار، والله تعالى أعلم.

ننتقل بعد ذلك، بعد أن عرفنا لماذا سمي عام الميلاد-----عام الفيل، ننتقل بعد ذلك للحديث عن ميلاده -صلى الله عليه وسلم- فنقول:

إذا سألنا صغار المسلمين فضلًا عن كبارهم، اسم أبي النبي ماذا؟ سيقول: عبد الله بن عبد المطلب.

-واسم أمه؟ سيقول: آمنة بنت وهب.

إذن قبل أن نتحدث عن المولود نتحدث عن زواج الوالدين، من هو الوالد؟ ومن هي الوالدة؟ وكيف تم هذا الزواج المبارك الذي نشأ منه خير خلق الله محمد بن عبد الله -صلى الله عليه وسلم- فنقول:

كان عبد الله بن عبد المطلب شابًا نسيبًا جميلًا وسيمًا، قوي البنيان، فغدا مطمع الآمال، وغاية الأماني من الكواعب الحسان من شريفات قريش.

تطلعت كل امرأة حسيبة نسيبة ذات مكانة في قريش إلى أن تحظى بالزواج من عبد الله بن عبد المطلب.

فرأى أبو عبد المطلب شريف مكة وسيدها أن يزوجه بكرًا من كرائم البيوتات القرشية، وفكر الشيخ ثم فكر حتى هداه تفكيره -وهو العارف بالأعراق والأحساب والأنساب- هداه تفكيره إلى فتاة بني زهرة آمنة بنت وهب بن عبد مناف، فأخذ بيد عبد الله وذهب به حتى اتى منازل بني زهرة، ودخل وإياه دار وهب بن عبد مناف الزهري، وهويومئذ سيد بني زهر نسبًا وشرفًا، فزوجه ابنته آمنة وهي يومئذ أفضل امرأة في قريش نسبًا وموضعًا.----------وبنى عبد الله بآمنة، ما معنى بنى؟ دخل بها واو البناء معروف.

وبنى عبد الله بآمنة، وبقي في بيت أبيها ثلاثة أيام -على عادة العرب في ذلك، كان العرب إذا زوجوا رجلًا بنوا له بيتًا عند والد امرأته فيقيم ثلاثًا، ثم يأخذ امرأته ويرجع إلى أهله- حتى كان اليوم الرابع انتقل عبد الله بن عبد المطلب بزوجه إلى منازل عبد المطلب.

وعاش الفتى المرموق المحبوب والفتاة الوادعة الجميلة الشريفة أيامًا معدودات، لم تتجاوز عند جمهرة المؤرخين عشرة أيام، يعني عبد الله عاش مع آمنة عشرة أيام فقط، حياته الزوجية مدتها عشرة أيام، وشاء الله أن تكون هذه أيام عمر الحياة الزوجية في هذا الزواج المبارك.

في هذه الأيام المعدودات **حملت السيدة الشريفة آمنة بسيد هذه الأمة، وقد ادخرها القدر لأعظم أمومة في التاريخ**، وتوالت عليها الرؤى والبشريات بجلال قدر هذا الجنين، فرأت فيما يرى النائم حين حملت أنها خرج منها نور أضاء الأرض، وبدت قصوى بصرى من أرض الشام، ولم يطل المقام بالفتى الشاب عبد الله مع زوجته آمنة بنت وهب خرج في تجارة إلى الشام وترك الزوجة الحبيبة، وهو لا يدري أنها علقت بالنسمة المباركة.

وقضى الزوج المكافح مدة في تصريف تجارته وهو يعد الأيام كي يعود إلى زوجته فيهنأ بها وتهنأ به، فوما أن فرغ من تجارته حتى عاد، وفي أثناء عودته من الشام عرَّج على أخوال أبيه عبد المطلب, وهم بنو النجار في المدينة, فمرض عندهم, فبقي هو عند أخواله, وعاد رفاقه وأصحابه الذين كانوا معه في تلك السفرة.

ووصل الركب إلى مكة, وعلم منهم عبد المطلب بمرض ولده عبد الله، فأرسل أكبر بنيه وهو الحارث بن عبد المطلب ليأتي بأخيه، وما أن وصل الحارث إلى المدينة حتى علم أن عبد الله قد مات ودفن بالمدينة، فرجع حزين النفس على فقد أخيه، ولك يكن للجنين عند فقد الأب إلا شهران.

ورجع الحارث بدون أخيه عبد الله والد النبي -عليه الصلاة والسلام.

وتقدمت أشهر الحمل بالسيدة الشريفة آمنة بنت وهب وهي تترقب الوليد الذي لم تجد في حمله وهنًا ولا ألمًا، وهتف بها هاتف قائلًا: إنك قد حملت بسيد هذه الأمة، فإذا وقع على الأرض فقولي: "أعيذه بالواحد من شر كل حاسد، وسميه محمدًا".

وبلغ الكتاب أجله، وبعد تسعة أشهر أذن الله للنور أن يسطع، وللجنين المستكن أن يظهر إلى الوجود، للنسمة المباركة أن تخرج إلى الكون لتؤدي أسمى وأعظم رسالة عرفتها الدنيا في عمرها الطويل.

وفي صبيحة اليوم الثاني عشر من ربيع الأول من عام الفيل، الموافق سنة 570 من ميلاد عيسى بن مريم -عليه السلام-

حيث بدأ الصبح يتنفس وآذن نور الكون بالإشراق افتض ثغر الدنيا عن مصاصة البشر وسيد ولد آدم وأكرم مخلوق على الله محمد بن عبد الله -صلى الله عليه وسلم.

فلما وضعته السيدة والدته خرج معه نور أضاء ما بين المشرق والمغرب، حتى رأت منه قصور بصرى بالشام،

ووقع جاثيًا على ركبتيه, معتمدًا على يديه, رافعًا رأسه إلى السماء، ثم أخذ قبضة من التراب فقبضها.

وقد روى الإمام أحمد وغيره عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: «**إني عند الله لخاتم النبيين، وإن آدم لمنجدل في طينته، وسأخبركم عن ذلك، أنا دعوة أبي إبراهيم، وبشارة عيسى، ورؤيا أمي التي رأت، وكذلك أمهات النبيين يرين**»،

وإن أم رسول الله -صلى الله عليه وسلم- رأت حين وضعته نورًا أضاءت له قصور الشام.

وكانت ولادته -صلى الله عليه وسلم- في دار أبي طالب بشعب بني هاشم.

وكانت قابلته: الشفاء أم عبد الرحمن بن عوف.

ولقد زعمت الأم التي ترملت في شبابها بالوليد الجميل، المشرق الجبين، الذي ملأ البيت من حولها نورًا وسرورًا، ورأت فيه السلوى عن الحبيب الغالي الذي تركه لها وديعة في ضمير الغيب ثم مات.

وما إخالها إلا زرفت الدمع ثخينًا أن لم يرَ الأب الشاب هذا الوليد الذي يملأ العيون جمالًا ومهابة ومحبة.

وكان أول ما فعلته السيدة آمنة أن أرسلت إلى جده عبد المطلب تبشره بميلاد الحفيد بن الحبيب، وجاء الجد فرحًا مسرورًا، وضمه إلى صدره ضمات خفق لها قلبه، وخففت من لوعة الحزن على الحبيب المغيب في ثرى المدينة، وذهب به إلى الكعبة، ذهب عبد المطلب بحفيده محمد إلى الكعبة، فقام يدعو الله ويشكره على ما أنعم به عليه وأعطاه، وسماه محمدًا، ولم يكن هذا الاسم شائعًا عند العرب، ولا تسمى به إلا عدد قليل جدًا، ولكن الله -سبحانه- ألهم عبد المطلب ذلك إنفاذًا لأمره، وتحقيقًا لما قدره وذكره في الكتب السماوية التي بشرت به -صلى الله عليه وسلم.

ولما سئل لماذا سميت هذا الولد محمدًا؟

قال عبد المطلب: **أردت أن يحمده الله في السماء، ويحمده الناس في الأرض.**

ولعل السيدة آمنة اخبرت عبد المطلب بالرؤيا التي رأتها في منامها وما بُشرت به، وأن تسميه محمدًا، فتوافقت الرؤيا مع رغبة عبد المطلب، ورجع شيخ مكة وشريفها عبد المطلب وهو يحمل بين يديه نسمة هي خير الدنيا على الإطلاق.

وفي اليوم السابع -كما هي عادة العرب- نحر الجد الذبائح وأقام الولائم شكرًا لله، واحتفاءً بالوليد الذي رأى في حياته حياةً موصلة لابنه الغالي عبد الله، ومرآة صافية يرى في صفحتها المشرقة النيرة وجه عبد الله كلما أهاجته الذكرى وثار في نفسه الشجن.

وقد شارك البيت الهاشمي في الغبطة بالولد الجديد، فهذه ثويبة الأسلمية جارية أبي لهب بن عبد المطلب لما بشرت سيدها بميلاد ابن أخيه -محمد- أعتقها.

وقد قال الشعراء في ميلاد النبي -عليه الصلاة والسلام- ما قالوا، ومنهم قول شوقي أمير الشعراء:

وُلِدَ الـهُدى فَـالكائِناتُ ضِياءُ ** وَفَمُ الـزَمـانِ تَـبَسُّمٌ وَثَناءُ

إلى آخر ما قاله في حق النبي -عليه الصلاة والسلام.

من هي المهات اللاتي أرضعن النبي -صلى الله عليه وسلم؟

1---**كانت أولى من أرضعته أمه آمنة بنت وهب، قيل أرضعته ثلاثة أيام، وقيل سبعًا، وقيل تسعًا.**

2---**ثم أرضعته ثويبة جارية عمه أبي لهب بلبن ابنها مسروح بضعة أيام قبل قدوم حليمة عليه، وكذلك أرضعت عمه حمزة، ثويبة أرضعت النبي وأرضعت عمه حمزة بن عبد المطلب وابن عمته أبا سلمة المخزومي، فكانوا إخوة من الرضاع.**

3---ثم استُرضِع -صلى الله عليه وسلم- في بني سعد، وراعته حليمة، وكان من عادة أشراف العرب أن يلتمسوا المراضع لأولادهم في البوادي. لماذا؟ كانوا يرسلون الأطفال ينشئون في الصحراء والبادية لماذا؟

ليكون ذلك أنجب للولد، وأصح للبدن، وأصفى للذهن، وأبعد عن الوخم والكسل.

كانوا يقولون: إن المربى في المدن يكون كليل الذهن، فاتر العزيمة، ضعيف البنية، فكانوا يربون الأطفال في الصحراء حتى ينشئوا عندهم جلدوقوة وعزيمة، مع الهواء النقي الصافي البعيد عن وباء وتلوث البيئة الحضرية المدنية.

وفي نشأتهم بين الأعراب من استقامة اللسان بالفصيح من الكلام، والسلامة من اللحن، والبراءة من الهجنة.

ولما قال الصديق أبو بكر -رضي الله عنه- **للنبي -صلى الله عليه وسلم: "ما رأيت من هو أفصح منك يا رسول الله!". قال: «وما يمنعني وأنا من قريش، وأُرضِعتُ في بني سعد».**

فمن ثم كان العرب يرسلون أبناءهم إلى البادية حتى يبلغوا الثامنة أو العاشرة.

ومن القبائل من كان لها في المراضع شهرة، يعني ليس كل القبائل **تكون مشهورة بالرضاع، لا، كان فيه قبائل مشهورة أن نساءها يرضعن، كان لها شهرة في الرضاع وشهرة في الفصاحة، ومنها قبيلة بني سعد التي كانت منها حليمة بنت أبي ذؤيب السعدية مرضعة النبي -صلى الله عليه وسلم.**

كيف أخذت حليمة النبي -عليه الصلاة والسلام- وكيف أرضعته، وكيف كانت نشأته عندها؟

لندع حليمة تقص لينا قصتها مع النبي -عليه الصلاة والسلام- لما فيها من العبرة والروعة ورعاية الله لنبيه في صغره، تقول حليمة: "قدمت مكة في نسوة من بني سعد نلتمس الرضعاء في سنة شهباء" يعني سنة جدب وقحط.

"على أتان". ما هي الأتان؟ أنثى الحمار.

"على أتان لي، ومعي صبي لنا، **وشارف**"، والشارف هي الناقة.

"وشارف لنا، والله ما تبض بقطرة"، يعني ناقتها ليس فيها نقطة لبن.

"وما ننام ليلنا ذلك مع صبينا ذاك، لا يجد في ثديي ما يغذيه، ولا في شارفنا ما يغذيه"، يعني حليمة لا تأكل، فليس في صدرها لبن، والناقة أيضًا ليس فيها لبن، لأنها سنة جدب وقحط، لا يوجد أكل ولا لبن.

"فقدمنا مكة، قالت: فوالله ما علمت منا امرأة إلا وقد عرض عليها رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فتأباه إذا قيل أنه يتيم"، يعني النساء اللاتي جئن من البادية يلتمسن الرضعاء في مكة، كلهن عرض عليهن محمد، يقلن: من هذا؟ من أبوه؟ هذا يتيم، تقول: ماذا سأفعل باليتيم، فالمرضعة أتت لتأخذ رضيعًا ترضعه حتى تأخذ أجرة {فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ} [الطلاق: 6].

فهذا يتيم، فمن الذي سيعطيها أجرة؟!

"وذلك أنَّا كنَّا نرجوا المعروف من أبي الصبي، فكنا نقول: يتيم. ما عسى أن تصنع أمه؟! فكلنا نكره ذلك، قالت: فوالله ما بقيت من صواحبي امرأة إلا أخذت رضيعًا غيره"، كل واحدة من النساء اللاتي جئن للالتماس الرضعاء أخذت رضيع، حليمة لم تجد رضيعًا تأخذه، فلم يبقَ أمامها إلا اليتيم.

قالت: "فقلت لزوجي: والله إني لأكره أن أرجع من بين صواحبي ليس معي رضيع"، كيف آتي وأرجع وليسس معي رضيع؟!

"لأنطلقن إلى ذلك اليتيم فلآخذنه. قال: لا عليكِ أن تفعلي، عسى الله أن يجعل لنا فيه بركة، قالت: فذهبت إليه فإذا هو مدرج في ثوب" يعني ملفوف "في ثوب أبيض من اللبن، ثوب من الصوف يفوح منه المسك، وتحته حرير أخضر، راقد على قفاه يغط، فأشفقت أن أوقظه من نومه لحسنه وجماله، فدنوت منه رويدًا فوضعت يدي على صدره فتبسم ضاحكًا، وفتح عينيه لينظر إليَّ، فخرج من عينيه نور حتى دخل خلال السماء وأنا أنظر، فقبَّلته بين عينيه، وأعطيته ثديي الأيمن، فأقبل بما شاء من لبن".

انتبه! قالت أن ابنها لم يرضع لأنه لم يكن به لبن، ساعة أن أرضعت النبي تدفق اللبن من ثدييها.

"فحولته إلى الأيسر فأبى، فكانت تلك حالته" لا يرضع إلا من اليمين، ولذلك كان دائمًا يحب التيمن -عليه الصلاة والسلام.

ونكتفي بهذا في هذا الدرس -إن شاء الله- ونواصل بعد ذلك الحديث في كيف كان النبي مع حليمة؟ وما هي الحوادث التي عرضت له عند بني سعد.

هذا والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.